

الأـمـدـ 15-08-2010

## 1080-نعم": رمضان كريم، و"لكن": الله أكـرـمـاـ

### تعـتـعـة الـوـفـدـ

في مقال الأسبوع الماضي قدمـنا أمـثلـة عـدـيدـة فـي السـيـاسـةـ ، وأـمـثلـة مـحـدـودـةـ فـي الـخـبـرـ ، تـوضـعـ بـعـضـ جـوـانـبـ هـذـهـ الـلـعـبـةـ الـتـىـ نـلـعـبـهـاـ طـولـ الـوقـتـ فـي حـيـاتـنـاـ العـادـيـةـ حـتـىـ لـوـ لمـ نـسـتـعـمـلـ نـفـسـ المـصـلـحـ "لـعـبـةـ" ، وـلـاـ نـفـسـ الـأـلـفـاظـ : "نعمـ .ـ .ـ .ـ ولكنـ"

الـذـىـ غـلـبـ عـلـىـ مـقـالـ الـأـسـبـوـعـ الـأـسـبـوـعـ الـأـسـيـاسـيـ مـاـ هـوـ اـسـتـعـمـالـ هـذـاـ التـعـبـيرـ لـلـتـحـاـيلـ وـلـلـمـنـاـورـةـ وـتـغـيـيـعـ الـمـوـاقـفـ ، لـلـتـخلـىـ عـنـ الـحـسـمـ ، وـعـنـ الـوـفـاءـ بـالـلـوـعـدـ ، وـعـنـ تـحـدـيدـ الـأـمـورـ ، لـكـنـيـ أـنـهـيـتـ الـمـقـالـ بـالـتـنـبـيـهـ إـلـىـ أـنـهـ لـنـفـسـ الـلـعـبـةـ وـجـهـاـ إـجـابـيـاـ فـيـ الـحـيـاةـ الـعـامـةـ ، وـلـمـ أـنـطـرـقـ لـتـوـظـيـفـهـاـ فـيـ فـهـمـ الـمـرـضـ الـنـفـسـيـ وـالـعـلاـجـ الـنـفـسـيـ .ـ

طلـبـ مـنـ بـعـضـ الـأـصـدـقـاءـ مـزـيدـاـ مـنـ التـوـضـيـحـ عـنـ الـاستـعـمـالـ الـإـجـابـيـ لـهـذـهـ الـلـعـبـةـ ، عـزـيزـ مـنـ الـأـمـثلـةـ ، حـيـثـ بـداـ الـمـثالـ فـيـ آخـرـ الـمـقـالـ غـيرـ كـافـ ، أـوـ هـوـ أـقـرـبـ إـلـىـ التـطـيـبـ الـآـمـلـ مـنـهـ إـلـىـ التـحـدـيدـ الـوـاقـعـيـ باـسـتـعـمـالـ إـجـابـيـ فـعـلـ ، فـاسـتـجـبـتـ هـكـذاـ :

إنـ تعـبـيرـ "نعمـ .ـ .ـ .ـ ولكنـ" يـكـنـ أـنـ يـكـونـ نـقـدـاـ ذـاتـيـاـ أوـ تـنـبـيـهـاـ مـفـيدـاـ يـوقفـ التـمـادـيـ فـيـ أـحـادـيـةـ التـفـكـيرـ وـنـفـيـ "الـآـخـرـ" ، بـعـنـ أـنـهـ قـدـ يـكـونـ مـحاـوـلـةـ تـصـحـيـحـ نـوـعـ مـطـلـقـ مـنـ إـصـدارـ الـأـحـكـامـ الـعـامـةـ الصـارـمـةـ: إنـ "نعمـ" بـدـوـنـ "لـكـنـ" قدـ تـنـتـهـيـ بـنـاـ إـلـىـ الـاسـتـقـطـابـ الـمـشـلـوـلـ ، وـالـتـعـصـبـ الـمـتـصـلـبـ ، وـالـوـثـقـانـيـةـ (ـالـدـمـاجـاطـقـيـةـ)ـ الـعـمـيـاءـ.ـ بـلـ إـنـ هـذـهـ الـ"نعمـ"ـ الـمـغلـقةـ هـكـذاـ يـمـكـنـ أـنـ تـقـتـلـ الـإـبـدـاعـ قـتـلـاـ .ـ

نـبـدـأـ بـعـضـ هـذـهـ الـ"نعمـ"ـ اـتـ الـمـطـلـقـةـ الـتـىـ خـذـرـ مـنـهـاـ مـثـلـ :

نعمـ: الـدـيمـقـراـطـيـةـ هـىـ الـخـلـ

نعمـ: الـإـسـلـامـ هـوـ الـخـلـ

نعمـ: "الـعـلـمـ"ـ هـوـ الـخـلـ

نعمـ: الـعـلـمـانـيـةـ (ـالـسـكـلـرـةـ)ـ (secularism)ـ هـىـ الـخـلـ

نعم: الرأسمالية هي الخل

نعم: السلام هو الخل

نعم: أمريكا هي الخل

نعم: الاشتراكية (أو الشيوعية) هي الخل

... إلخ . . . إلخ

لو اتنا توقفنا عند هذه المرحلة من إصدار الأحكام المطلقة المغلقة التي تبعينا عن بعضنا البعض، فلنخرج إلا بجموعات متشنجـة من البشر المتناقـرين الذي لا يجسم الأمور بينهم إلا الحرب، لـنـؤكـد قـانـونـا ثـبـتـ فـسـادـهـ كـنـاـ نـتصـورـ أـنـهـ القـانـونـ الـأـمـمـ فـيـ الـبـقاءـ،ـ قـانـونـ يـقـولـ :ـ الـبـقاءـ لـلـأـقوـيـ،ـ وـقـدـ ثـبـتـ أـنـ هـذـاـ وـارـدـ أـحـيـاـنـاـ فـيـ ظـرـوفـ مـحـدـودـةـ،ـ لـكـنـ الـأـمـمـ هـوـ أـنـ الـبـقاءـ لـلـأـكـثـرـ تـلـاؤـمـاـ مـعـ الـطـبـيـعـةـ،ـ وـالـأـكـثـرـ تـكـافـلـاـ مـعـ الـأـحـيـاءـ الـقـىـ تـرـىـ بـقـاءـهـاـ فـيـ بـقـاءـ الـحـيـاـةـ نـفـسـهـاـ،ـ "ـنـعـمـ"ـ بـدـونـ "ـلـكـنـ"ـ تـرـجـعـ قـانـونـاـ بـشـرـيـاـ خـائـبـاـ يـقـولـ "ـالـشـطـارـةـ لـلـأـغـيـ الـأـقوـيـ"ـ مـعـ،ـ وـلـأـنـهـ أـغـيـ بـقـدرـ مـاـ هـوـ أـقـوـيـ،ـ فـهـوـ عـلـىـ طـرـيقـ الـانـقـرافـ.

وعلى ذكر الانحراف، فدعونا أقدم لكن هذا الفرق العلمي الذي قارب النظرية :

"إن أي توقف عند حل مغلق على أنه الخل الأوحد هو السبب الحقيقي لأنحراف الأحياء التي انقرضت". إن أي كائن حي عجز عن التكيف مع الطبيعة (بالطول والعرض، طقساً وجغرافية وموارداً)، وعن التكافل مع سائر الأحياء الخيطية (وليس مجرد الانتصار عليها) انقرض لأنه تصور أن بقاء نوعه منفرداً "هو الخل"، وهذا ضد الحياة كما أرادها الله سبحانه.

إنسان اليوم معرض أكثر من أي يوم مضى للاستمرار في هذا الاتجاه الخاطئ، تعالوا نعيده النظر فيما سبق من أمثلة لنكمـلـهاـ إيجـابـياـ بـماـ تـيـسـرـ مـنـ نـقـدـ وـاعـ صـعبـ،ـ فـنـصـحـ "ـنـعـمـ"ـ الـمـغـلـقـةـ،ـ بـ"ـلـكـنـ"ـ الـمـسـتـدـرـكـةـ النـاقـدـةـ عـلـىـ الـوـجـهـ الـتـالـيـ :

نعم: الديقراطية هي الخل

ولكن ليست ديمقراطية أمريكا، ولا الديقراطية بالإذابة، ولكن الديقراطية التي سوف يتوصل لها الإبداع البشري القادر، بالتقنيات الحديثة فالحدث التي تسعج أن يشارك كل الناس في اختيار قرارات بقائهم معاً بشراً بحق، فهي ديمقراطية العدل والحرية وليس ديمقراطية الإعلام والمال، فهي إلى محاولات إبداعها المتمنادية؟

نعم: الإسلام هو الخل

ولكن: ليس بمعنى الإسلام الذي أصبحت السلطات الدينية الكهنوتية وصية عليه، أي ليس بمعنى الذي يكتره نفر من البشر يعطون لأنفسهم الحق في تفسير كلام الله دون غيرهم، ولا هو الإسلام الذي يستعمل من الظاهر، ولا الإسلام الذي ينفي كل من لا يحمل لفظ الإسلام من حظيرة الإيمان والعلقة الخلاقـةـ بالـلـهـ سـبـحـانـهـ

### نعم: "العلم" هو الخل

ولكن: ليس العلم الذى اصبح له كهنة وقساوسة يمثلون "الكنيسة الحاسوبية الكبرى"، حيث استولى على ما يسمى العلم أتباع منهج مغلق وصى معقلن، راح ينفى مناهج المعرفة الأخرى الأشد والأعمق، مع أنها هي المنهج الذى حافظت على كل الأحياء المتبقية على ظهر الأرض حتى الآن (واحد في الألف فقط من بينها الإنسان والجراد والخنازير والفيلة والذباب... الخ)، "نعم": العلم هو الخل" ولكن" على أن يشمل كل مناهج ومناهل المعرفة بحركة متكاملة متكافلة تحتوى إبداع الجنس البشري جميعه ما أمكن ذلك

### نعم: العـلمـانـيةـ (الـسـكـلـرـةـ)ـ هـيـ الخلـ

ولكن ليس باستبعاد وتهميـشـ الدينـ والإيمـانـ منـ جـوـهـرـ الـحـيـاـةـ وكـأـنـهـ حـلـيـةـ أوـ نـشـاطـ هـامـشـيـ أوـ تـرـيفـيـهـيـ شـخـصـيـ بـعـضـ الـوقـتـ،ـ السـكـلـرـيـةـ (الـعـلمـانـيـةـ)ـ يـنـبـغـيـ أـنـ تـقـتـصـرـ عـلـىـ نـفـيـ أـنـ يـمـتـلـكـ مـصـائـرـ النـاسـ نـفـرـ مـنـ الـبـشـرـ يـسـتـولـونـ عـلـىـ سـلـطـةـ الـدـنـيـوـيـةـ بـاحـتـكـارـ الـحـقـ الـمـطـقـ باـسـمـ اللـهـ سـبـحـانـهـ حتـىـ عـنـوانـ أـنـ هـذـهـ سـلـطـةـ إـنـماـ تـحـكـمـ نـيـابـةـ عـنـهـ تـعـالـىـ،ـ لـيـسـ لـلـعـلـمـانـيـةـ أـنـ تـمـدـ لـتـصـبـحـ وـصـيـةـ عـلـىـ وـضـعـ الدـيـنـ وـكـدـحـ الإـيمـانـ فـيـ حـيـاـةـ النـاسـ.ـ فـيـحـلـ حـلـ ذـلـكـ غـرـورـ بـشـرـيـ قـاصـرـ مـنـعـزـلـ.

### نعم: الرـأـسـالـمـيـةـ هـيـ الخلـ (نـهـاـيـةـ التـارـيـخـ)

ولـكنـ :ـ لـيـسـ الرـأـسـالـمـيـةـ الـمـالـيـةـ،ـ وـلـيـسـ الرـأـسـالـمـيـةـ الـكـانـيـبـالـيـةـ (أـكـلـةـ لـحـومـ الـبـشـرـ)ـ وـلـيـسـ الرـأـسـالـمـيـةـ الـمـافـيـاـوـيـةـ الـتـىـ فـصـلـتـ الـمـالـ حـتـىـ عـنـ أـصـحـابـهـ،ـ وـسـخـرـتـهـ لـفـنـاتـ سـرـيـةـ مـنـفـصـلـةـ عـنـ سـائـرـ الـبـشـرـ.....

### نعم: السلام هو الخل

ولـكنـ:ـ لـيـسـ بـعـنىـ نـفـيـ الـحـرـبـ تـمـاماـ وـدـائـماـ لـصـالـحـ الـأـقـوـىـ الـذـىـ يـمـارـسـ كـلـ أـنـوـاعـ الـحـرـوبـ حـتـىـ عـنـ رـايـةـ مـاـ يـسـمـيـهـ مـعـاهـدـاتـ الـسـلـامـ،ـ ثـقـافـةـ الـسـلـامـ الـمـطـلـقـ وـالـدـائـمـ هـىـ ضـدـ قـانـونـ التـطـوـرـ الـأـبـدـىـ،ـ نـعـمـ:ـ مـعـاهـدـاتـ الـسـلـامـ وـاتـفـاقـاتـ الـسـلـامـ هـىـ اـضـطـرـارـ مـؤـقتـ مـنـ جـانـبـ الـأـضـعـفـ،ـ وـلـكـنـ أـنـ يـتـرـادـفـ مـاـ هـوـ سـلـامـ أـوـ مـعـاهـدـةـ سـلـامـ،ـ مـعـ ثـقـافـةـ الـسـلـامـ بـعـىـ حـرـمانـ هـذـاـ الـأـضـعـفـ مـنـ اـسـتـعـادـةـ وـسـائـلـ الـقـوـةـ اـسـتـعـادـاـ لـتـصـحـيـحـ مـاـ اـضـطـرـ إـلـيـهـ،ـ فـهـذـاـ لـيـسـ حـلـ،ـ إـنـماـ هـوـ إـذـلـ دـائـمـ وـخـدـاعـ مـتـجـددـ.

### نعم: أمريكا هي الخل

ولـكنـ:ـ هـذـاـ قـوـلـ تـفـاوـظـيـ مـنـاؤـرـاتـيـ لـيـسـ أـكـثـرـ،ـ أـمـاـ أـنـ يـصـبـحـ حـقـيـقـةـ تـبـرـرـ التـبـعـيـةـ الـمـطـلـقـةـ،ـ وـالـتـخـاذـلـ الـمـتـمـادـىـ،ـ وـالـتـسـلـيمـ غـيرـ الـمـشـروـطـ،ـ فـهـذـاـ لـيـسـ حـلـ،ـ لـاـ لـنـاـ،ـ وـلـاـ لـأـمـريـكاـ (لـأـهـلـنـاـ الـأـمـريـكـيـنـ)ـ يـجـارـبـونـ مـعـنـاـ مـعـرـكـةـ بـقـاءـ الـبـشـرـ،ـ لـاـ بـدـ مـنـ فـصـلـ أـمـريـكاـ الـسـلـطـةـ عـنـ أـمـريـكاـ الـنـاسـ الـمـبـدـعـينـ بـهـاـ،ـ وـهـذـاـ وـاردـ حـتـىـ دـاخـلـ أـمـريـكاـ بـعـدـ أـنـ كـشـفـتـ أـمـريـكاـ الـسـلـطـةـ عـنـ

أنها ليست إلا واجهة لسلطة خفية أكثر فجراً وجاهة من إسرائيل نفسها، وبعد أن تعرت باستعمالها الفيتور في كل مناسبة دون خجل، وفي إعطائهما الضوء الأخضر لكل غزو، أو قتل جماعي أو إبادة، بعد كل ذلك: فإن تكرار مثل هذا القول يصبح أقرب إلى البله أو الخيانة.

**نعم: الاشتراكية هي الخل**

ولكن: لا بد من التركيز على التطبيق أكثر من الوثوق في التنبؤ، كما لا بد من تناسب اللحظة التاريخية مع الثقافات المتنوعة مع الاستفادة من الخبرات السابقة.

**وبعد**

فالمسألة ليست في رفض أسلوب "نعم" و "لكن"، ولكن في كيفية استعماله، وهدف استعماله.

وإليكم هذه التهنئة البسيطة بنفس الألفاظ بمناسبة شهر رمضان المعظم

**نعم رمضان كريم، ولكن : الله أكرم".**

الله أكرم يجري الخير للناس عبر كل الناس طول الوقت، من كل حدب وصوب، راجع اليوم، إن شئت تعتنّة الدستور: بيل "عز" & جيتس "ساويرس"، و"موائد الرحمن" المليارديرية !